خمس صلوات

١٢ عن عَبادةَ بن الصَّامت قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : «أتانى جبريلُ عليه السلامُ منْ عنْد الله تباركَ وتعالى فقال : يَا مُحمّدُ إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يقولُ لك : إنّى قَدْ فرضْتُ على أُمتك خَمْسَ صلَوات ، مَنْ وَفَّاهُنَّ على وُضوئهنَّ ومَواقيتهنّ وسُجُودهنّ، فإنّ له عندك بهنَّ عَهْداً أنْ أُدخلَه بهنَّ الجنةَ، ومَنْ لقيني قَدْ أنقصَ من ذلكَ شيئاً فليسَ له عندك عَهْد ، إنْ شئْتُ عذَّبْتُه، وإنْ شئتُ رَحمتُه»(١).

الصلاة هى إدامة ولاء العبودية للحق تبارك وتعالى ، فهى رزق عبودى يحررك من كل خوف ، وفضلها لا حدود له ، لأن فارضها هو الخالق المربى ، فكيف يبخل الإنسان على نفسه أن يكون موصولاً بربه.

فالصلاة هى استحضار العبد وقفته بين يدى ربه ، وحينما يقف العبد بين يدى الله لا بد أن يزول كل ما فى نفسه من كبرياء ، ويدخل بدلاً منه الخشوع والخضوع والذلة لله ، فالمتكبر غافل عن رؤية ربه الذى يقف أمامه.

(١) أخرجه أبو داود الطيالسى فى مسنده (حديث ٥٧٣) وفيه زمعة بن صالح عن الزهرى . قال النسائى: «ليس بالقوى ، كثير الغلط عن الزهرى» وقد أخرج ابن ماجه فى سننه (١٤٠١) وأحمد فى مسنده (٥/ ٣١٧, ٣٢٢) وأبو داود السجستانى فى سننه (٤٢٥) من حديث عبادة بن الصامت أيضاً أن رسول الله ﷺ قال : «خمس صلوات افترضهن الله تعالى : من أحسن وضوءهن وصلاهن لوقتهن وأتم ركوعهن وخشوعهن كان له على الله عهد أن يغفر له ، ومن لم يفعل فليس له على الله عهد ، إن شاء غفر له وإن شاء عذبه»

والخشوع يجعل الإنسان يستحضر عظمة الحق سبحانه وتعالى ، ويعرف ضآلة قيمته أمام الحق سبحانه وتعالى ومدى عجزه أمام خالق هذا الكون ، ويعلم أن كل ما عنده يمكن أن يذهب به الله تعالى فى لحظة ، ذلك أننا نعيش فى عالم الأغيار.

ولذلك فلنخضع للذى لا يتغير ، لأن كل ما يحصل عليه الإنسان هو من الله وليس من ذاته.

والذين يغترون بوجود الأسباب نقول لهم: اعبدوا واخشعوا لواهب الأسباب وخالقها، لأن الأسباب لا تعمل بذاتها.

ولذلك لابد أن نفهم أن الإنسان الذى يستعلى بالأسباب سيأتى وقت لا تعطيه الأسباب ، فالإنسان إذا بلغ فى عينه وأعين الناس مرتبة الكمال اغتر بنفسه ، نقول له : لا تغتر بكمالات نفسك ، فإن كانت موجودة الآن فستتغير غداً ، فالخشوع لا يكون إلا لله.

والحق سبحانه وتعالى يقول :

﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ(١) ﴿٤٥﴾ ﴾ (البقرة)

من هم الخاشعون؟

الخاشع هو الطائع لله ، الممتنع عن المحرمات ، الصابر على الأقدار ، الذى يعلم يقيناً داخل نفسه أن الأمر لله وحده ، وليس لأى قوة أخرى ، فيخشع لمن خلقه وخلق هذا الكون له.

---

(١) الخشوع : السكون والخضوع والهدوء والاستكانة . قال تعالى : ﴿ وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ.. ﴿١٠٨﴾ ﴾ (طه).أى : خفتت وهدأت كناية عن شدة الرهبة والخوف يوم القيامة ، وقال تعالى : ﴿وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ .. ﴿٣٥﴾ ﴾ (الأحزاب)، أى : الخاضعين والمستكينين لله حبًا وإيمانًا من الرجال والنساء.

ولذلك يأمر الله المؤمنين أن يثبتوا ويتمسكوا بالإيمان ، وأن يقبلوا على التكليف.

والتكاليف التى جاء بها الإسلام منها تكليفات لا تتطلب إلا وقتاً من الزمن وقليلاً من الفعل كشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً.

إن شهادة لا إله إلا الله تقال مرة فى العمر ، والزكاة والصوم مرة كل عام ، والحج للمستطيع مرة فى العمر ، ولكن هناك من العبادات ما يتكرر كل يوم ليعطى المؤمن شحنة اليقين والإيمان ، ويأخذه من دنياه بالله أكبر خمس مرات فى اليوم.

وهذه هى العبادة التى لا تسقط أبداً ، سواء كان الإنسان سليماً أو مريضاً، فالمؤمن يستطيع أن يصلى واقفاً ، وأن يصلى جالساً ، وأن يصلى راقداً [1].

لذلك كانت هذه أول عبادة تذكر فى قوله تعالى :

﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ .. ﴿١١٠﴾ ﴾ (البقرة)

أى : والتفتوا إلى نداءات ربكم للصلاة ، وعندما يرتفع صوت المؤذن بقوله «الله أكبر » فهذه دعوة للإقبال على الله ، إقبال فى ساعة معلومة ، لتقفوا أمامه سبحانه وتعالى ، وتكونوا فى حضرته ليعطيكم الله المدد.

ولذلك كان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر صلى [2] .

---

(١) عن عمران بن حصين رضى الله عنه قال : كانت بى بواسير ، فسألت النبى ﷺ عن الصلاة فقال : صَلِّ قائمًا ، فإن لم تستطع فقاعدًا ، فإن لم تستطع فعلى جنب » أخرجه البخارى فى صحيحه (١١١٧)، وأحمد فى مسنده (٤/٤٢٦) ، وابن ماجه فى سننه (١٢٢٣) .

(٢) عن حذيفة قال : « كان النبى ﷺ إذا حزبه أمر صلى » أخرجه الإمام أحمد فى مسنده (٥/٣٨٨)، وأبو داود فى سننه (١٣١٩) .

ومعنى « حزبه أمر » أى : ضاقت به أسبابه ، فلم يجد مخرجاً ولا طريقاً إلا أن يلجأ إلى الله ، إذا حدث هذا يتوضأ الإنسان ويصلى ركعتين غير الفريضة ، ثم يدعو ما يشاء فيفرج الله كربه.

فإقامة الصلاة هى التكليف المقرر لإعلان الولاء الإيمانى لله كل يوم خمس مرات ، نترك كل ما فى الدنيا ونتجه إلى الله بالصلاة ، إنها عماد الدين وأساسه.

طلبها الله فى اليوم خمس مرات ، وحتَّم الجماعة فيها فى يوم الجمعة فى الأسبوع ، لماذا؟ حتى يرانا كل العبيد لله عبيداً لله ، فلا يعبد واحد ربنا سراً ، وبعد ذلك لا يرى أحد منا أحداً ، فكلنا نسجد لله ، ولا بد من إعلان الولاء لله ، فيوم تُترك الصلاة ينعدم إعلان الولاء له سبحانه.

ومن العجيب أن الصلاة فرضها الله عليك بأن تذهب له خمس مرات فى اليوم ، هذا بالأمر والتكليف ، وإن لم تذهب تأثم ، إنه ما أغلق الباب ، اذهب له فى أى وقت تجده فى استقبالك ، فى أى مكان تقف وتقول : الله أكبر تكون فى حضرة ربنا.

فَمَنْ له السيادة فى الدنيا حين تطلب لقاءه تقدم طلباً حتى تلقاه ، ويحدد لك الميعاد ، وبعد ذلك يسألك أحد رجاله: ستتكلم فى ماذا؟ وقد يقف المسئول أو السيد فى الدنيا ، ويُنهى المحادثة.

لكن ربنا سبحانه ليس كذلك ، أنت تذهب له فى أى وقت ، وفى أى زمن ، وتطيل كما تحب ، ولن ينهى المقابلة إلا إذا أنهيتها أنت.

ولذلك يقولون:

حَسْبُ نفسى عِزّاً بأنِّى عَبْدُ يَحْتَفى[1] بى بِلاَ مواعيدَ ربُّ

(١) حفى به حفاوة فهو حَفِىّ ، أى : بالغ فى إكرامه وإلطافه والعناية بأمره . (مختار الصحاح) .

هُو فى قُدْسِـه الأعـزِّ ولكـنْ أنَا ألْقَـى متـى وأين أحِبُّ

صحيح هو يأمرنى أن ألقاه خمس مرات فى اليوم ، لكن الباب مفتوح للقائه فى أى وقت ، فـهبْ أن صنعة تُعـرض على صـانعهـا خمس مـرات كل يوم ، أيوجد فيها عطب؟

لا . وأنت تُعْرَض على خالقك وصانعك كل يوم خمس مرات.

ورسول الله ﷺ يُوصِى أمته بـأن يقيموا الصلوات الخمس فى مواقـيتها ، ولذلك يقول النبى ﷺ عندمـا سأله عبد الله بن مسـعود رضى الله عنه قائلاً : أي الأعمال أفضل ؟ قال : «الصلاة على وقتها »[1] .

إنك لا تضـمن من عمرك أن تـعيش إلى آخر الوقـت ، فعندما يُـؤذَّن لصلاة الظهر ولم تُصلِّه ، قد تقول : إن وقته ممتد ، ولكن هل تضمن أنك ستعيش إلى أن ينتهى وقت الظهر ؟

والحق سبحانه يقول:

﴿ إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا (١٠٣) ﴾

(النساء)

كـأن المؤمن مُطَالب بألا يُسوِّف ويـؤخِّر الصـلاة عن وقتـها ، وأن يذكـر الله قائماً وقاعداً وعلى جنبه ، وذلك لتكون الصلاة دائماً فى بؤرة شعور الإنسان.

إن المؤمن مطالب بأن يصلى الصـلاة على وقتهـا ، وصحـيح أن الإنسان إذا عاش حتى يصـلى الظهر قبيل العصـر فإنها تسقط عنه ، ولكـن ماذا يحدث لو مات العبد وقد فات عليه وقت يسعها ؟

(١) أخرجه أحـمد فى مسنده (٤١٨/١ ، ٤٤٢ ، ٤٤٤) ومسلـم فى صحيحه (٨٥) كـتاب الإيمان من حديث ابن مسعود.

إذن : فقد أثم العبد ، ومَنْ يضمن حياته حتى يؤدى الصلاة مُؤجَّلة عن موعد أدائها؟

وقد يقول قائل : أحياناً أسمع أذان الصلاة وأكون فى عمل لا أستطيع أن أتركه ، فقد أكون فى إجراء جراحة ، أو ر كباً طائرة.

ونقول : أسألك بالله إذا كنت فى هذا العمل الذى تتخيل أنك غير قادر على تَرْكه وأردت أن تقضى حاجتك ، فماذا تصنع؟

إنك تذهب لقضاء حاجتك ، فلماذا استقطعت جزءاً من وقتك من أجل أن تقضى حاجتك ، وقد تجد قوماً كافرين يسهلون لك سؤالك عن دورة المياه لتقضى حاجتك.

وساعة يراك هؤلاء وأنت تصلى فأنت ترى على وجوههم سمة الاستبشار، لأن فيهم العبودية الفطرية لله ، وتجد منهم من يسهل ذلك ويحضر لك ملاءة لتصلى فوقها ، ويقف فى ارتعاش سببه العبودية الفطرية لله ، فلا تقل أبداً : إن الوقت لا يتسع للصلاة ؛ لأن الله لا يكلف أبدًا عبده شيئًا ليس فى سعته ، والحق سبحانه كلَّف العبد بالصلاة ومعها الوقت الذى يسعها.

ولله المثل الأعلى ، فنحن نرى رئيس العمال فى موقع ما يوزع العمل على عماله بما يسع وقت كل منهم ، فما بالنا بالرب الخالق؟

ولذلك يقول الحق سبحانه :

﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ[1] ..﴿٣﴾ ﴾ (الطلاق)

(١) احتسب الأمر : ظنَّه وقدَّره .

ولذلك نجد الصلاة وهى التى يؤديها المسلم خمس مرات فى اليوم على الأقل، هذه الصلاة فى ظاهرها أنها تأخذ بعضاً من الوقت كل يوم ، ولكنها تعطى راحة نفسية ، كما أنها تعطى اقتناعاً يفوق التصور إن خشع فيها الإنسان وأدَّاها بحقها.

وكان ﷺ يقول : « **يابلال أرحنا بالصلاة**»[1] .

كما قال ﷺ: « **وجُعِلَتْ قُرَّة عينى في الصلاة**»[2] .

لأن التكليف ينتقل من المتعة إلى الراحة ، ويتمتع الإنسان فيها بتجليات ربه وفيوضاته فترتاح نفسه وتهدأ.

إن عظمة الصلاة توضحها كيفية تشريعها ، لأن تشريعات أركان الإسلام كانت بالوحى ، أما تشريع الصلاة فقد جاء وحده بالمباشرة ولم يقل الله لجبريل: « قل للنبى التكليف بالصلاة » بل استدعى الله النبى ﷺ إليه ، وكلّفه بالصلاة.

فحين يريد الإنسان أن يقدم أمراً لمرءوسيه - ولله المثل الأعلى - فالموضوع قد يأخذ دوره فى الأوراق اليومية التى تنزل منه إليهم.

أما إذا كان الموضوع مهماً فهو يتصل بالقائد التنفيذى للمرءوسين ، ويوضح مدى أهمية الموضوع.

أما إذا كان الموضوع غاية فى الأهمية ، فالرئيس يستدعى القائد التنفيذى للمرءوسين ، ويبلغه أهمية الموضوع.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده (٥/ ٣٦٤) ، وأبو داود فى سننه (٤٩٨٥) عن رجل من أسلم ، قاله أحمد واللفظ له .

(٢) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده (٣/ ١٢٨) والنسائى فى سننه (٧/ ٦١) والحاكم فى مستدركه (٢/ ١٦٠) وقال : « صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه » ووافقه الذهبى .

إذن : فكيفية إنزال التكليف تكون على قدر أهمية الموضوعات ، فما بالنا ـ إذن ـ بركن استدعى الله فيه محمداً إلى السماء لتكليفه بها؟

وقد رأينا أن بعض التكليفات تجيء إلى رسول الله بالإلهام أن يفعله ، وبعضها جاء بالوحى من جبريل أن يفعله.

أما الصلاة فقد فرضها الله عندما استدعى محمداً إلى السماء إلى الرفيق الأعلى[1] ، وفرض الله عليه الصلاة بالمباشرة .

وعلى أمة محمد ﷺ أن تؤدى هذا الفرض خمس مرات فى اليوم ، ولا تسقط أبداً ، ولذلك جعلها الحق فارقة بين المسلم والكافر.

إن المسلم ساعة أذان الصلاة يقوم إلى الصلاة ، وهى استدعاء من الخالق لمن خلقه ليحضر فى حضرته كل يوم خمس مرات ، وأنت حر بعد ذلك ألا تبرح لقاء ربك ، ولا يمل الله حتى يملَّ العبد.

والحق سبحانه يقول:

﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ [2] ﴿٢٣٨﴾ ﴾ (البقرة)

معنى حافظوا ـ عندنا ـ يقتضى أن نفهم أن عندنا «حفظاً» يقابل النسيان،

---

(١) كان هذا عندما أسرى برسول الله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، قال ﷺ : « ثم عرج بى حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام ، ففرض الله على أمتى خمسين صلاة . قال: فرجعت بذلك حتى أمُر بموسى فقال موسى عليه السلام : ماذا فرض ربك على أمتك ؟ قلت: فرض عليهم خمسين صلاة . قال لى موسى عليه السلام : فراجع ربك » وأخذ موسى يراجع رسول الله ﷺ حتى كانت خمسًا فى الفريضة ، وهى خمسون فى الأجر . حديث الإسراء أخرجه مسلم فى صحيحه (١٦٣) كتاب الإيمان من حديث أبى ذر رضى الله عنه .

(٢) قنت فى صلاته : خشع واطمأن . وقنت : دعا ، وأطال الدعاء . وقوله تعالى : ﴿كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴿٢٦﴾﴾ (الروم) ، أى : خاضعون معترفون بألوهيته مطيعون .

و«حفظًا» يقابله التضييع ، والاثنان يلتقيان ، فالذى حفظ شيئاً ونسيه فإنه قد ضيَّعه ، والذى حفظ مالاً ثم بدده ، يكون قد ضيَّعه أيضاً.

إذن: كلها معانٍ تلتقى فى فقد الشىء ، فالحفظ معناه أن تضمن بقاء شىء كان عندك ، فإذا ما حفظت آية فى القرآن فلا بد أن تحفظها فى نفسك ، ولو أنعم الله عليك بمال فلا بد أن تحافظ عليه.

فقول الحق سبحانه:

﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ ...﴿٢٣٨﴾ ﴾ (البقرة)

معناه : ألا تضيعوها. ويحتمل أيضاً معنى آخر ، هو أنكم قد ذقتم حلاوة الصلاة فى القرب من معية ربكم ، وذلك أجدر وأَوْلَى أن تتمسكوا بها أكثر ، وذلك القول يسرى على الصلوات الخمس التى نعرفها.

ويريد الحق سبحانه أن نقوم لكل صلاة ونحن قانتون ، وأصل القنوت فى اللغة هو المداومة على الشئ ، وقد حضَّ وحثَّ القرآن الكريم على ديمومة طاعة الله ، ولزوم الخشوع والخضوع.

والسجود هو علامة ودليل الخشوع والخضوع للحق سبحانه ، وهو كما يقول الحق سبحانه عن أصحاب محمد ﷺ :

﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ[1] فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ... ﴿٢٩﴾ ﴾. (الفتح)

(١) السُّومة (بالضم) : العلامة . والسيمة والسيما والسيماء والسيمياء (بكسر السين فيهن) : العلامة . وقوله تعالى : ﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم..﴿٢٩﴾ ﴾ (الفتح) أى : علامة إيمانهم نور فى وجوههم .

وهؤلاء هم المتقون الذين قال عنهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه : «الواحد منهم يزيدك النظر إليه قرباً من الله ».

فأنت ساعة ترى المتقى لله تُسَرُّ وتفرح به ، ولا تعرف مصدر هذا السرور إلا حين يُقال لك: إنه ملتزم بتقوى الله.

هذا السرور يلفتك إلى أن تقلده ؛ لأن رؤياه تُذكِّرك بالخشوع والخضوع والسكينة ورقة السَّمْت وانبساط الأسارير .

***